مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (36) العدد (4) 2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Engineering Sciences Series Vol. (36) No. (4) 2014

التأثيرات المحلية في طابع أبنية مدارس العصور الإسلامية في سورية

الدكتورة رولا نتيفة*
الدكتور محمد منون**
دلال طريفي***

(تاريخ الإيداع 16 / 4 / 2014. قُبِل للنشر في 7/ 8 / 2014)

□ ملخّص □

إن ملامح الطابع المعماري للمدارس في العصور الإسلامية هي حصيلة تأثير عوامل عديدة نذكر منها:

أولاً- العوامل الثقافية: كالتأثر بالحضارات السابقة للإسلام كالساسانية في العراق والبيزنطية والهلنستية في سورية

ثانياً- العوامل البيئية: ونقصد هنا المناخ ومواد بناء التي أثرت في التكوينات السائدة، فعلى سبيل المثال سادت الباحات المسقوفة في المناطق الباردة في حين استخدمت الباحة المكشوفة في المناطق المعتدلة والصحراوية. بينما أثَر توفر مواد بناء محلية في تبني نمط بناء معين ففي الوقت الذي نجد فيه شيوع العمارة الطينية في العراق، نجد ازدهار العمارة بالحجارة في كل من مصر وسوريا.

ثالثاً العوامل السياسية التي لعبت ايضا دورا في تشكيل ملامح طابع المدارس حيث كان للحكام تأثير واضح في العمارة فمصر في العصر الطولوني تأثرت بالعمارة العراقية لأن أحمد بن طولون الحاكم كان ذا أصل عراقي.

إلا أن هناك عوامل أخرى ساهمت في اختلاف عمارة المدارس من فترة زمنية لأخرى، كما اختلفت من بلد إلى آخر فالعمارة في مصر تختلف عن معاصرتها في سوريا، حتى أنها تختلف في البلد الواحد بين المدن فالعمارة في حلب ليست كالعمارة في دمشق، وهذا يدفعنا للتساؤل حول أهمية **المؤثرات المحلية** في تصميم المدارس القديمة في العصور الإسلامية.

في هذه المقالة سنمر بدايةً على تطور نشوء المدارس الإسلامية عبر التاريخ، ثم سنسلط الضوء على التأثيرات المحلية للمكان كالمناخ ومواد البناء المحلية وكذلك على العوامل المؤثرة على الطابع المعماري عموماً، وصولاً إلى دراسة طابع الأبنية المدرسية في العصور الإسلامية ووضع اليد على أكثر العوامل تأثيراً والتي تطبع الأبنية المدرسية عبر العصور الإسلامية المختلفة.

الكلمات المفتاحية: المدارس الإسلامية، المؤثرات المحلية، الطابع المعماري

* **مدرس – قسم التصميم المعماري– كلية الهندسة المعمارية– جامعة تشرين– سورية.**
** **مدرس – قسم علوم البناء والتنفيذ– كلية الهندسة المعمارية– جامعة تشرين– سورية.**
*** **طالبة دراسات عليا(ماجستير)– قسم التصميم المعماري– كلية الهندسة المعمارية– جامعة تشرين– سورية.**

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (36) العدد (4) 2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Engineering Sciences Series Vol. (36) No. (4) 2014

The local effects on the architectural characters of schools during Islamic era in Syria

Dr. Roula Natifa*
Dr. Mohammad Manoun**
Dalal Trife***

(Received 16 / 4 / 2014. Accepted 7 / 8 / 2014)

□ ABSTRACT □

The architectural character of the schools in the Islamic Ages influenced by many factors including: first cultural factors, civilizations pre-Islamic: Sassanian in Iraq, Byzantine and Hellenistic in Syria. Secondly environmental factors, we mean here the climate and building materials that have affected the formations prevailing, for example covered patios prevailed in cold regions, while the open patios used in temperate and desert regions. While the availability of local building materials serve to in the adoption of a particular style building: at a time we find the prevalence of clay or earth architecture in Iraq, Stone Architecture diffused in both Egypt and Syria. Thirdly, the political factors that also play a role in shaping the schools character, where the rules effected on the architecture. So Egypt in Tulunid was affected by Iraqi architecture due to Ahmad Ibn Tulun who was the ruler from Iraqi origin.

However, there were other factors which contributed to create the difference between schools building at the same time; The architecture in Egypt differ from its contemporary in Syria even it was different in the same place among cities, the architecture in Aleppo didn't like the ones in Damascus. So we wonder about the importance of the local effects on designing early schools during the Islamic era.

In this paper, we will recite the evolution of Islamic school throughout history, then we'll focus on the local effects of the place such as the climate and regional building material, as well as the effective factors on the architecture characters generally, finally, we will study the character of school building in Islamic eras in order to find the most powerful factors that are affected on building schools throughout various Islamic eras.

Keywords: Islamic schools, local effects, architectural character

*Assistant Professor- Department of Architectural Design- Faculty of Architecture- Tishreen University- Syria.
**Assistant Professor- Department of Building Science and Implementation- Faculty of Architecture– Tishreen University- Syria.
*** Postgraduate student - Department of Architectural Design - Faculty of Architecture – Tishreen University- Syria.

مقدمة:

ظهرت المدارس في العصور الإسلامية كنوع من الاستجابة لحاجة المجتمع في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية، فكانت تقوم فيها حلقات العلم إضافة للمساجد الجامعة، مما أسهم في تشكيل نهضة علميه رائعة.

حملت أبنية المدارس سمات وملامح العصور التي ظهرت فيها، وقد طبعت بطابعها ،إلا أنَّ اختلاف الوظيفة وتنوع أماكن إنشائها، ووسم أبنيتها بطابع مميز كان حصيلة لعوامل تشكيل الطابع، ونتيجة مباشرة للتفاعل مع المكان الذي جاء في هيئة سمة محلية مميزة بعمارة المكان.

أهمية البحث وأهدافه:

يهدف هذا البحث إلى معرفة أي من العوامل حمل التأثير الأقوى على الطابع له التأثير الأقوى على طابع أبنية المدارس في العصور الإسلامية. وتكمن أهمية هذه الدراسة كون المدارس الإسلامية تحمل خواص الجامع والمدرسة ولم يفرد حتى الآن دراسة وافية عن طابعها وخاصة ما يتعلق بدراسة الجانب المحلي من سمات معمارية وعناصر تلعب دوراً كبيراً في تشكيل الطابع.

فرضية البحث:

تقوم فرضية البحث على اعتبار عامل المناخ ومواد البناء إلى جانب العامل الديني هي العوامل الأكثر تأثيراً من العوامل المذكورة على طابع المدارس في سوريا عبر تتالي العصور الإسلامية.

طرائق البحث ومواده:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي لدراسة التأثيرات المحلية على طابع العمارة في مختلف العصور الإسلامية، بالإضافة للمنهج الوصفي الاستقرائي لنماذج من أبنية المدارس في مختلف العصور الإسلامية لاستنتاج طابع معماري خاص بهذه الأبنية، ثم مقارنة هذه النتائج مع الخصائص العامة للعمارة في كل عصر من العصور الإسلامية.

نشأة المدارس وتطورها: شيدت المدارس في العصر السلجوقي حيث بنيت المدارس والبيمارستانات لتقوم بدور المستشفيات ومدارس الطب. استمر بناء المدارس في العصور اللاحقة حيث كانت المدراس حتى نهاية العصر المملوكي تضم بالإضافة للمدرسة مدفن الحاكم ومصلى للمدرسة تتوزع هذه العناصر حول الفناء الداخلي للمدرسة. أما في العصر العثماني فبدلا عن المدرسة المعروفة في العهود السابقة ظهرت التكية بهندستها الجديدة كمجمع معماري، يضم بالإضافة للمدرسة المسجد وغرف السكن والمطابخ المطاعم والقاعات والحدائق، ولم يعد المدفن جزءاً من التكية، كما ألحق مكتب لتعليم الأولاد بهذا المجمع. ويمكن إجمال العصور الإسلامية التي مرت على تطور المدارس وفق المخطط الزمني الآتي:

المخطط رقم /1/ مخطط زمني للعصور الإسلامية – إعداد الباحث

مدارس من العصر السلجوقي:

1- المدرسة النورية في دمشق: 563هـ -1167م: يتكون مخططها المعماري من صحن سماوي مكشوف مربع الشكل تتوسطه بركة ماء ويحيط به ثلاث أيوانات أكبرها الأيوان الجنوبي. تضم المدرسة مدفن الحاكم يغطي سطحه زخارف جصية وقبة المدفن من المقرنصات ذات الرأس الموشوري. رصفت أرض المدرسة بالحجر المزي والبازلتي، كما أن الأبواب والنوافذ المفتوحة على الصحن في الواجهات الداخلية ذات قوس نصف دائري، أو جزء من الدائرة بينما الفتحات الخارجية ذات شكل مستطيل، أما باب المدرسة الرئيسي فهو ضمن أيوان تعلوه قبة من المقرنصات.[7]

الصورة (1) القبة في المدرسة النورية – المصدر [9]

الصورة (2) الصحن المكشوف في المدرسة النورية- المصدر[9]

2-**البيمارستان النوري في دمشق** :549هـ -1154م كان البيمارستان النوري عبارة عن مشفى يعالج المرضى ومن جهة أخرى مدرسة للطب تلقى فيه الدروس. يتألف البيمارستان من صحن سماوي (20*15م) يحيط به من كل جهة أيوان وعلى جانبه غرفتان هذه الغرف بعضها مربع والبعض مستطيل وهي مسقوفة بالعقود المتقاطعة المدببة حيث استخدمت الحجارة الكلسية المنحوتة بشكل جيد في البناء. المبنى خال من الواجهات المزخرفة باستثناء الباب المفتوح في الواجهة الغربية حيث يعلو الباب واجهة من الزخارف الجصية المؤلفة من صف من المحاريب ذات الاقواس المفصصة يعلو الاقواس مقرنصات تنتهي بالصدفة. إن جميع الابواب المفتوحة في الوجهات الداخلية على صحن البيمارستان مستطيلة الشكل يعلوها نافذة على شكل شبك من الجص المزخرف بالخيوط المتداخلة والاشكال النجمية. [5]

الصورة(3) واجهة البيمارستان النوري–المصدر [10]

الصورة (4) صحن البيمارستان النوري–المصدر [10]

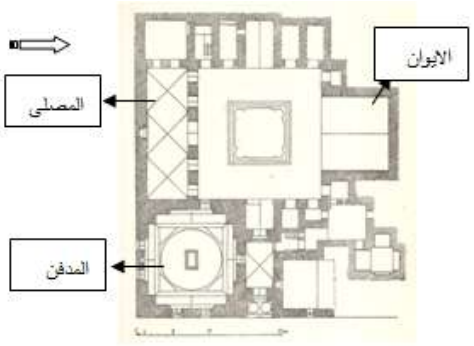

الصورة(5) المدرسة العادلية الكبرى–المصدر [5]

الصورة(6) مخطط أفقي للبيمارستان النوري– المصدر [10]

مدارس من العصر الأيوبي:

1- **المدرسة العادلية الكبرى في دمشق:** هـ612-1215م في دمشق، للمدرسة باب يتوسط واجهته الشرقية دهليز مسقوف بقبوة، يليه باب ثان على محور واحد مع الباب الخارجي مفتوح ضمن أيوان مرتفع مطل على صحن سماوي، وفي الجهة الجنوبية من الدهليز باب الى المدفن، وباب آخر في الجهة الشمالية يؤدي الى غرف الطابق العلوي للمدرسة الصحن مربع الشكل يحيط به من الجهة الجنوبية المصلى المسقوف بثلاثة أقبية متقاطعة. المحراب مزين بالمقرنصات ومن الجهة الشمالية أيوان كبير، أما الجهة الغربية تحتوي على غرف للطلبة. الوجهات الخارجية مبنية بالحجارة الكلسية الجيدة النحت تنتهي في أعلاها بكورنيش من الحجر المقولب وهي خالية من الزخارف ليس فيها سوى النوافذ المستطيلة التي يعلو سواكفها عقد عاتق مخفف للثقل أما الواجهات الداخلية المطلة على الباحة خالية من الزخارف ويوجد في الجهة الشمالية الأيوان الكبير على جانبيه بابان ينتهيان بقوس مدبب، ويعلو كل منهما نافذة مستطيلة.[5]

الصورة (7) الواجهة الجنوبية المدرسة العادلية –المصدر [11]

الصورة (8) المدرسة العادلية من الداخل– المصدر [11]

2-**مدرسة الفردوس في سوريا في حلب** :633هـ-1235م تعد من اهم آثار العمارة الإسلامية من حيث هندستها ومخططها وقبابها المخطط الأفقي عبارة عن صحن مستطيل مكشوف تحيط به من ثلاث جهات أروقة قائمة على أعمدة مع وجود أيوان في الجهة الرابعة. المدرسة مسقوفة بمجموعة من القباب القليلة الارتفاع لأنها بدون رقبات باستثناء القبة التي تتوسط الحرم. استخدمت الحجارة الكلسية الجيدة النحت في البناء.[5]

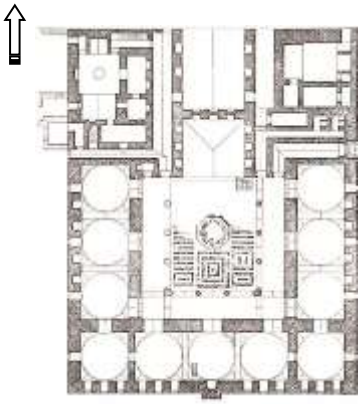

الصورة (9) مخطط مدرسة الفردوس – المصدر[5]

الصورة (10) صحن مدرسة الفردوس والأروقة المسقوفة-المصدر[12]

مدارس من العصر المملوكي:

1- **المدرسة الجقمقية في دمشق** 824هـ-1421م: للمدرسة شكل مربع. تحيط بالصحن أربعة أيوانات والمدفن في الزاوية الشمالية الشرقية ولها واجهتان على الطريق شمالية وشرقية حيث يقع المدخل في الواجهة الشمالية وهو عبارة عن أيوان مزود بمقعدين حجريين على جانبي الباب مسقوف بعقد من المقرنصات تنتهي بصدفة.

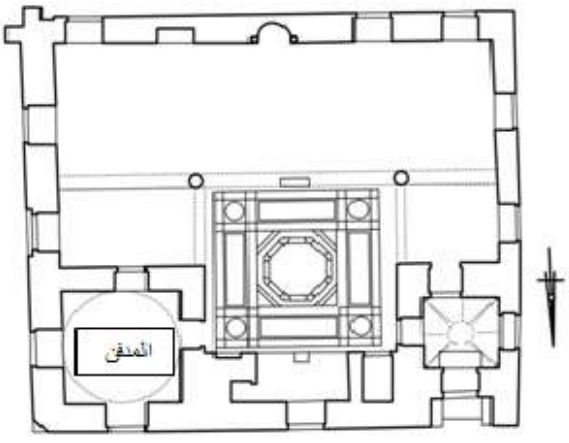

الصورة (11) مخطط أفقي للمدرسة الجقمقية -المصدر[5]

الصورة (12) صحن لمدرسة الجقمقية المسقوف-المصدر[12]

الصورة (13) المدرسة الجقمقية من الخارج -المصدر[12]

أما صحن المدرسة فهو صغير مربع الشكل توسطه بركة والصحن مسقوف بسقف مستو من الخشب يرتفع فوق مستوى الأواوين لفتح النوافذ للإضاءة. للمدرسة واجهتان على الطريق احداهما شمالية شرقية فتحت فيها شبابيك في القسم السفلي والثانية شرقية فتحت فيها شبابيك في القسم السفلي وطاقات صغيرة في الأعلى بعضها مستدير وبعضها مستطيل بقوس مدبب. ويجمل الواجهة مداميكه الملونة باللونين الأسود والأصفر بالتناوب وشريط ملون بالحجارة المتداخلة، ثم شريط الكتابة الذي يحمل مدماكين والمنقوش بخط نافر مذهب، وفي أعلى الواجهتين شريط زخرفي آخر يتألف من سلسلة من المحاريب ثم تأتي الشرفات وهي على شكل مشربيات، وقد جعلت كذلك ملونة بالتناوب أسود وأبيض. [5]

2-المدرسة الظاهرية في دمشق: افتتحت المدرسة الظاهرية عام 678هـ-1276م مخطط بناء المدرسة الظاهرية مستطيل الشكل في وسطه فناء مكشوف مستطيل يحيط به الأواوين الثلاثة من كل جهة، ويضاف اليها أيوان المدخل الرئيسي تعلوه نصف قبة معقودة بالمقرنصات. إن طابع التقشف والبعد عن الزخرفة والزينة هو الغالب على بناء المدرسة، أقيم بناء الجدران وعقود الأواوين من الحجر الكلسي الغشيم المنحوت بشكل جيد. تركزت الزخرفة في المدخل الرئيسي ومدفن الملك الظاهر.إن المدخل الرئيسي مزين بزخارف تكونت من تناوب اللون الابيض مع اللون الأسود على شكل مداميك وبين المداميك زخارف كتابية، الفتحات المطلة على الصحن ذات قوس نصف دائري وعقود الأيوانات ذات قوس مدبب.[8]

الصورة (14) مدخل وأيوان المدرسة الظاهرية دمشق

الصورة (15) صحن المدرسة الظاهرية وعقد الأيوان المدبب

الصورة (16) المدرسة الظاهرية من الخارج

الصورة (14) (15) (16) المصدر [13]

مدارس من العصر العثماني:

1- مدرسة التكية السليمانية في دمشق 962هـ-1554م: وهي بناء مستقل يقع الى الشرق من التكية السليمانية عبارة عن صحن مربع الشكل تقريبا" تحيط به الغرف الصغيرة المسقوفة بالقباب وأمام الغرف رواق يحيط بالصحن تغطيه القباب الصغيرة، محمول على أقواس وعمد قليلة الارتفاع وفي المدرسة مصلى خاص بها باتجاه الجنوب مسقوف بقبة لها رقبة مضلعة مزودة بالنوافذ. تكسو الجدران الداخلية الواح القاشاني والأبلق حيث يتوسط الجدران شريط من بلاطات القاشاني رسمت عليها شرافات الواجهات الخارجية غنية بالزخارف نجدها في القوس ذي الحجارة الملونة بالتناوب، وفي الأشرطة المنقوشة على شكل ضفائر، وفي الحليات المستديرة المرصعة والحجارة الملونة. [5]

الصورة (17) صحن التكية السليمانية في دمشق والاروقة المسقوفة بالقباب –المصدر [11]

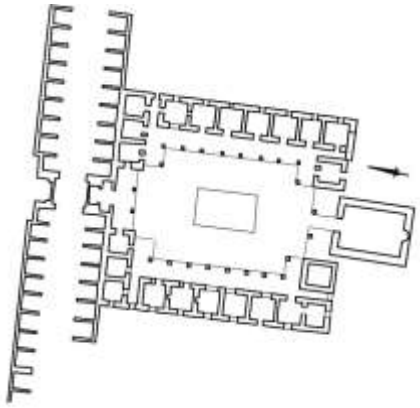

الصورة (18) مخطط أفقي للتكية السليمانية– المصدر [5]

2–المدرسة العثمانية–الرضائية في دمشق: 1143هـ–1730م اعتمد في تصميم المدرسة على نظام المجمعات وقد ضمت الجامع والمدرسة والمكتب والسبيل والمطبخ، وكان لكل بناء المدخل الخاص به. للمدرسة أيوانين غربي وشرقي تطل الأيوانات على الصحن المستطيل مباشرة حيث يحيط بالصحن ثلاثة أروقة مسقوفة بالقباب الصغيرة خلف هذه الأروقة أربعون حجرة، أما رواق القبلية فله ثلاث قباب تحملها أربعة أعمدة. أما تسقيف جامع المدرسة فهو عبارة عن قبة كبيرة نصف كروية مدعمة بأقواس في جهة القبلة، جميع القبب والأسطح مغطاة بالرصاص. استخدم القوس المدبب في واجهات المدخل والأروقة والقوس المجزوء من الدائرة في النوافذ والابواب.

بنيت المدرسة من الحجارة الكلسية المنحوتة بشكل جيد. انحصرت الزخرفة على المقرنصات في أعمدة الأروقة والسدة والمنبر والمئذنة ونصوص كتابية في الأبواب والقبلية والمنبر والمحراب. [10]

الصورة (19) الأروقة المحيطة بالصحن في المدرسة الرضائية

الصورة (20) الفتحات الخارجية في المدرسة الرضائية

الصورة (21) مخطط مدرسة وجامع الرضائية

الصورة (19) (20) المصدر [14] الصورة (21) المصدر[5]

<u>المؤثرات المحلية على عمارة المدارس في العصر الإسلامي:</u> [5]

1– *تأثيرات محلية متعلقة بأنظمة بناء وعناصر انشائية ومواد بناء وطرق تسقيف:* نلمح في العمائر السورية وفق العمارة الرومانية عناية في نحت الحجر واستخدامه والاعتماد عليه في أكثر أقسام البناء، وحتى في السقوف المستوية المنتشرة في جنوب سورية وفي القباب المنتشرة في الشمال. أما مخططات البناء فكانت عبارة عن باحة سماوية ضمن سور يحيط به من الداخل رواق وفي وسط الباحة المعبد أو الهيكل كمعبد جوبيتير في دمشق ومعبد بل في تدمر. كما تتجسد العمارة البيزنطية في الكنائس الكبيرة والأديرة وأضرحة القديسين. حيث يقوم المخطط

العام للبناء على أساس الأروقة ذات الأعمدة والقناطر التي يتخللها احيانا قباب عالية، وكانت القناطر والأقواس نصف دائرية، كما انتشر طرق التسقيف على شكل جملونات من الخشب والقرميد في شمال سورية. يمكن أن نرى آثار العمارة البيزنطية في الرصافة وقلعة سمعان والبارة وفي قرى منطقتي المعرة وعفرين. ظهر الأيوان والأسقف على شكل أقبية مدببة الرأس في العمارة الساسانية وانتقلت للعمارة السورية من خلال التأثيرات المتبادلة بين فنون العمارة السورية والفارسية خلال قرون طويلة. أما في العصور الإسلامية التي ظهرت فيها المدارس ابتداء من العصر السلجوقي حتى العثماني استمر استخدام المسقط المؤلف من الصحن السماوي الذي يحيط به الأروقة خلفها الأواوين والغرف. وكانت أبواب المباني مفتوحة ضمن أيوان مرتفع يصل الى نهاية الواجهة ويمكن ان يزيد عنها وهذا الأيوان مسقوف بنصف قبة، كما يمكن ان نميز الخصائص التالية:

في العصر السلجوقي كانت القباب المحمولة على الحنايا الركنية في الزوايا أو المقرنصات التي استخدمت لأول مرة في هذا العصر كعنصر معماري وزخرفي، بالإضافة للأقبية ذات العقود النصف اسطوانية او المتقاطعة في تسقيف الغرف والقاعات. أبواب الأبنية قليلة الارتفاع تنتهي بعقد قوسه من النوع المدبب. **العصر الأيوبي** استخدم التسقيف بواسطة الأقبية المتقاطعة والقباب التي كان لها طابعها الخاص حيث زاد ارتفاعها وطاستها ملساء ذات رأس مدبب وكان الشكل الغالب عليها في دمشق من النوع المحزز، أما مادة بناء القباب في دمشق من الآجر وفي حلب من الحجر المنحوت.

العصر المملوكي لم تشيد أبنية ضخمة في هذا العصر حيث كانت أكثر المباني صغيرة الحجم كما ألغي الصحن السماوي في بعض المباني أو غطي بسقف. الأروقة استخدمت بشكل نادر في هذا العصر. التسقيف عبارة قباب من القرميد في الشام وفي حلب من الحجر المنحوت وعليها تغطية كلسية من الداخل والخارج وهذه القباب بشكل نصف كرة مقطعها له شكل القوس المدبب والقبة المحمولة على رقبة مزودة بنوافذ، وإضافة إلى القباب كانت التغطية تتم بواسطة الأقبية المتقاطعة أو السريرية مقطع القوس فيها بشكل مدبب كما استخدمت الأسقف المستوية المكسوة من الداخل بالخشب المزخرف. في هذا العصر أصبحت الأبنية مفتوحة أكثر على الشارع بواسطة الشبابيك في القسم السفلي المستطيلة الشكل، وطاقات صغيرة في القسم العلوي مستديرة الشكل. بالإضافة للقوس المدبب في أعلى الفتحات ظهر القوس المفصص.

العصر العثماني كانت العمارة في هذا العصر استمرارا" للعمارة في العصر السلجوقي الذي ازدهر في الأناضول.

2- *تأثيرات محلية متعلقة بالزخرفة والتزيين*: حيث تعتبر هذه المعطيات من أكثر أنواع المعطيات التي ترد ضمن نماذج العمارة الإسلامية بشكل عام وعمارة المدارس والمساجد بشكل خاص، كتغطية وتزيين مساحات واسعة من سطوح العناصر الإنشائية بالألواح الفسيفسائية الإغريقية والرومانية المنتشرة في الشام مع تغيير في مواضيع الرسوم ونوعية الزخارف لتجنب وجود رسوم لشخوص أو حيوانات، بالإضافة للشرفات المسننة والنقوش الجصية، وهي ذات أصول عراقية قديمة استعملت في العمارة الساسانية كما نجد الأبواب ذوات القنطرة النصف دائرية والقناطر المتعددة المتراكبة.

يمكن أن نميز الخصائص التالية في العصور الإسلامية:

العصر السلجوقي استخدمت المقرنصات لأول مرة كعنصر زخرفي من ناحية ومن ناحية أخرى انشائية لتحويل الشكل المربع إلى دائرة لإقامة القبة.

العصر الأيوبي العمارة الأيوبية أقل عناية بالزخرفة عن العمارة في العصور اللاحقة والسابقة وهي نادرة في الواجهات تنحصر الزخرفة فقط في الأبواب الرئيسية وذلك بسبب الحالة الغير مستقرة لهذا العصر.

العصر المملوكي أصبحت الواجهات الداخلية والخارجية حافلة بالزينة والزخرفة النباتية والهندسية حيث كانت على ألواح من الحجر او الرخام المنقوش بحفر غائر مرصع بلون مغاير، بالإضافة للزخرفة الجصية. المداميك أقل ارتفاعا يسود فيها التناوب بين الأبيض والأسود ومعهما الأصفر، استخدمت الشرفات في نهاية الواجهة كما كانت تنتهي الواجهات بسلسلة محاريب صغيرة أو حجارة مقلوبة.

العصر العثماني حيث تطورت صناعة الخزف وازدهرت صناعة القاشاني وشاع استخدام نوع جديد من الفسيفساء عرف بالأبلق وذلك بحفر المواضيع الزخرفية على الحجارة ثم ملؤها بنوع من الملاط الملون، كما تطورت زخرفة الخشب فقلت العناية بأعمال الحفر والتخريم وشاع بدلا عنها الخشب المدهون المزخرف بالرسوم الملونة.

3-*تأثيرات محلية متعلقة بالجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية*: ظهرت الأواوين ذات العقود الحجرية والمفتوحة على باحة البناء والتي تتوزع حول الصحن من جهاته الأربعة أو من ثلاث جهات في المدارس السلجوقية لتدريس أصول المذاهب الأربعة. في حين شهدت البلاد في العهد الأيوبي حركة عمرانية كبيرة ويرجع ذلك الى ترسيخ الوحدة التي تحققت أيام نور الدين والى الازدهار الاقتصادي واستتباب الأمن والعمارة الأيوبية يغلب عليها طابع البساطة والتقشف بسبب حالة الحرب مع الصليبين ولكنها من ناحية ثانية تتميز بالمتانة والقوة واتقان التخطيط والبناء. بينما نرى تطور ملحوظا في العمارة المملوكية وغنى في العناصر المعمارية والزخرفية ويرجع هذا الى طول فترة العهد المملوكي وتغير ظروف الحياة بالنسبة للعهود السابقة.

ولدراسة تأثير هذه التأثيرات المحلية على أبنية المدارس الإسلامية لا بد من التعرف على مفهوم الطابع المعماري والعناصر المشكلة له.

<u>مفهوم الطابع:</u> يعرف الطابع :character بأنه التعبير المادي عن ثقافة وخصوصية المجتمع والمستعملين وهو مجموعة الصفات والمراجع البصرية التي تميز مكاناً مبنياً. الطابع هو وليد ظروف مجتمع معين مجتمع لم يقصد دفع مبانيه بصورة مفتعلة بملامح يختارها ويحددها مسبقا" ولكن بملامح وسمات تتكون نتيجة ظروف طبيعية مثل المناخ ومواد البناء المحلية وجغرافية المنطقة وأيضا" الناحية الحضارية من عوامل دينية واجتماعية وسياسية فيكون الطابع هو المرآة الصادقة لهذا المجتمع.[2]

<u>العناصر المشكلة للطابع المعماري:</u>

أولا الشكل: يمكن أن نعرِّف الشكل بأنه الكتلة المرئية للبناء المتماسك، والذي يحوي الوظيفة ويجسدها.[3]

يمكن التعرف على خصائص الشكل من خلال:

-**خط البناء:** وهو حدود المباني على مستوى المسقط الأفقي.

-**الارتفاع:** أحد اهم ملامح الطابع المعماري، ويقاس من الأرض حتى أعلى المبنى، أو يقدر بعدد الطوابق فيها.

-**خط السماء:** الحد الفاصل والمحدد بين نهايات المباني والسماء ويؤثر بشكل كبير على الاستمرارية البصرية.

ثانيا" السطح surface: ويوصف السطح من خلال عدد من العناصر ومنها المواد واللون الملمس ومن ثم التفاصيل والفتحات. [3]

-**المواد:** من وجهة النظر الوظيفية يجب أن تتلاءم المواد مع ظروف استعمالها سواء في مبنى عام أم خاص كما تتلاءم مع الظروف المناخية وتظهر الطبيعة الإنشائية. [4]

-**الملمس:** تعبير يدل على المظهر الخارجي المميز لأسطح المواد، وملمس السطح يظهر كنتيجة للتفاعل بين الضوء والسطح فيعطي إحساس (بالخشونة – النعومة – درجة الصقل) كما تحدد الأضواء المنعكسة عن أسطح المواد الصفات الجسمية للخامة (الصلابة – الليونة – الخفة – الثقل).[6]

-**اللون:** الألوان المتقاربة تخلق روح الوحدة المعمارية على عكس الألوان المتباعدة، كما يوضح اللون شخصية المواد فكل مادة تتمتع بصفة لونية مميزة.

-**التفاصيل:** إن نوعية التفاصيل كالزخارف مثلا" أكثر أهمية من مواد البناء المستخدمة كما أن التبسيط المفرط في التفاصيل قد يؤدي إلى السطحية وإلى عمارة بلا تأثير أو هوية.[3]

-**الفتحات:** الفتحات أداة لقراءة اللغة المعمارية وبالتالي فهم الملامح العامة للعمران القائم والتي تشكل ضوابط المحتوى التراثي. تؤثر الفتحات بشكل كبير في لغة العمارة وجمالية المكان، كما أنها مفتاح الطابع وعنصر ارتكازه.[3]

من هذه العناصر يمكن تحديد العناصر المشكلة للطابع المعماري التي ستتم دراستها واعداد المخططات التالية /2/ و /3/.

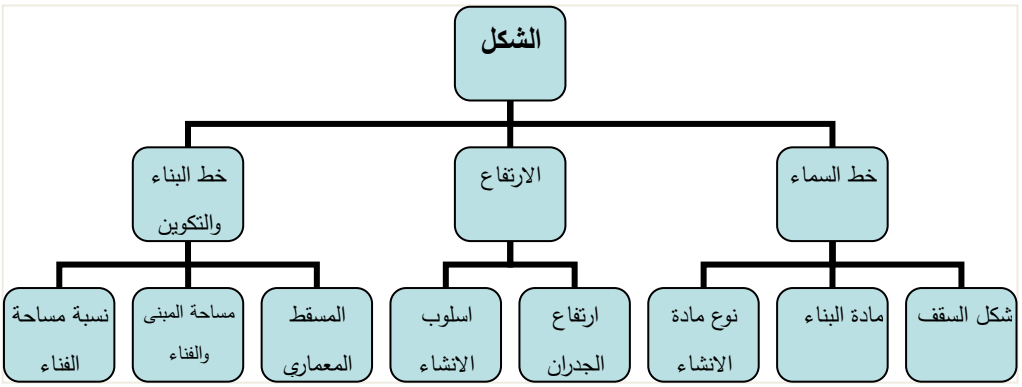

المخطط رقم /2/ العناصر المحددة للشكل المعماري-اعداد الباحث

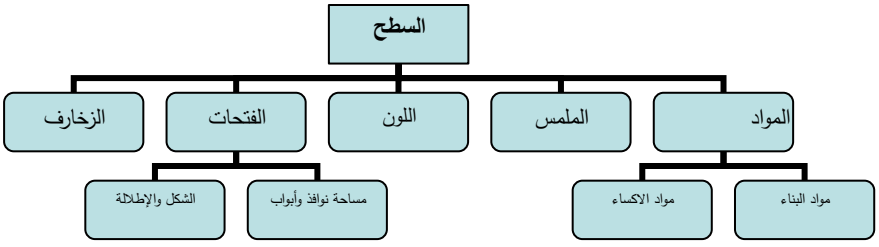

المخطط رقم /3/ العناصر المحددة للسطح -اعداد الباحث

سيتم تطبيق هذه الدراسة على مثالين من المدارس الإسلامية لكل عصر وذلك لدراسة الطابع المعماري لهذه الأبنية ومقارنتها مع خصائص العمارة لكل عصر وفق الجداول الآتية.

الجدول رقم (1) الطابع المعماري للمدارس الإسلامية في العصر السلجوقي – اعداد الباحث

مدارس العصر السلجوقي / عناصر الطابع المعماري			المدرسة النورية في دمشق	البيمارستان النوري في دمشق	الخصائص العامة للعمارة السلجوقية*
الشكل	خط السماء	مادة الإنشاء	العضادات الخشبية توضع فوقها طبقة من التراب العازل في الغرف – الجص للقبة	الحجر للأقبية – الجص للقبة	الحجر–الجص
		مادة الإكساء	التغطية الكلسية للأقبية	التغطية الكلسية للأقبية	التغطية الكلسية للأقبية
		شكل السقف	أفقي–قبة من المقرنصات	أفقي محمول على الاقبية المتقاطعة او الاسطوانية – قبة من المقرنصات	أفقي – قبة من المقرنصات – الأقبية المتقاطعة او الاسطوانية
	الارتفاع	ارتفاع الجدران	على طابق واحد	على طابق واحد	على طابق واحد
		أسلوب الانشاء	جدران حاملة من أحجار منحوتة ذات سطوح مستوية بشكل مداميك	جدران حاملة من أحجار منحوتة ذات سطوح مستوية بشكل مداميك	جدران حاملة من أحجار منحوتة ذات سطوح مستوية
	خط البناء والتكوين	المسقط المعماري	الشكل الخارجي مربع الشكل تتوزع الغرف حول الفناء على طابق واحد	الشكل الخارجي غير منتظم بزوايا قائمة تتوزع الغرف حول الصحن المستطيل	ظهرت لأول مرة الأواوين التي تحيط بالصحن السماوي من ثلاث جهات او أربع جهات بالإضافة للغرف
		مساحة المبنى والفناء	–	مساحة المبنى 1582م2–مساحة الفناء 300م2	–
		نسبة مساحة الفناء من البناء	–	%19	–
		الانفتاح	نحو الداخل والخارج بفتحات صغيرة	نحو الداخل	نحو الداخل

السطح		مادة الانشاء	الأحجار الكلسية	الأحجار الكلسية	الأحجار الكلسية
		مواد الاكساء	بدون تغطية في الجدران الخارجية والداخلية	بدون تغطية في الجدران الخارجية والداخلية	بدون تغطية
		الملمس	تتسم المادة بالخشونة والثقل	تتسم المادة بالخشونة والثقل	تتسم المادة بالخشونة والثقل
		اللون	الأصفر	الأبيض	الأبيض – الاصفر
		الزخارف	الزخرفة الجصية في تربة المدرسة وقبة التربة من المقرنصات ذات الراس الموشوري	الزخرفة الجصية فوق المدخل الرئيسي بالاضافة للزخرفة بالخيوط المتداخلة والأشكال الهندسية فوق الفتحات المطلة على الصحن– قبة التربة من المقرنصات	استخدمت المقرنصات لأول مرة – النقش على الخشب والحجر والرخام – الجص المزخرف
	الفتحات	النوافذ والأبواب	فتحات خارجية صغيرة –فتحات داخلية كبيرة	فتحات داخلية كبيرة	فتحات داخلية كبيرة
		الشكل والاطلالة	فتحات الواجهات الداخلية ذات قوس نصف دائري أو جزء من الدائرة بينما الفتحات الخارجية ذات شكل مستطيل	الفتحات المطلة على الصحن ذات شكل مستطيل تعوها نافذة بقوس مدببة	ذات شكل مستطيل أو يعلوها قوس مدبب او نصف دائرة – الاطلالة داخلية
الأرضيات			مبلطة بالحجر المزي والبازلتي	مبلطة بالحجر المزي والبازلتي	مبلطة بالحجر المزي والبازلتي

[*] ريحاوي، عبد القادر. *العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية*، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1979، ص 99–100

الجدول رقم (2) الطابع المعماري للمدارس الإسلامية في العصر الأيوبي – اعداد الباحث

عناصر الطابع المعماري / مدارس العصر الايوبي			المدرسة العادلية في دمشق	مدرسة الفردوس في حلب	الخصائص العامة للعمارة الأيوبية*
الشكل	خط السماء	مادة الإنشاء	الحجر – ألواح خشبية	الحجر للأقبية – القرميد للقباب	الحجر – القرميد – الألواح الخشبية
		مادة الإكساء	التغطية الكلسية للقباب والأقبية	التغطية الكلسية للقباب والأقبية	التغطية الكلسية للقباب والأقبية
		شكل السقف	أفقي من الخشب –حجري بشكل قبوات للمصلى والأيوان	قباب قليلة الارتفاع بدون رقبة	الأقبية المتقاطعة ذات العقود المتصالبة أو الاسطوانية – القباب بأشكال مختلفة برقبة أو بدون رقبة وذات الرأس المدبب الملساء أو المحززة
	الارتفاع	ارتفاع الجدران	ارتفاع القبو في الأيوان 27 م – المدرسة على طابقين 11م	طابق واحد	على طابق أو طابقين
		أسلوب الانشاء	جدران حاملة من أحجار منحوتة ذات سطوح مستوية بشكل مداميك	جدران حاملة من أحجار منحوتة ذات سطوح مستوية	جدران حجرية حاملة من الأحجار المنحوتة ذات سطوح أفقية
	خط البناء والتكوين	المسقط المعماري	الشكل الخارجي غير منتظم بخطوط متعامدة تتوزع الغرف حول الفناء المستطيل	المسقط مستطيل الشكل تتوزع الغرف على طابق واحد خلف الرواق الذي يحيط بالفناء	المسقط المستطيل او المربع ذو الصحن السماوي المحاط بالأواوين من ثلاث جهات – في مباني حلب تحيط الأروقة حول الصحن وخلفها الغرف والاواوين
		مساحة المبنى والفناء	مساحة المبنى 32*13=416م2– مساحة الفناء 21*18=378م2	مساحة المبنى 55*44= 2420م2–مساحة ال فناء13*13=169م2	–
		نسبة مساحة الفناء	%90	%7	–
		الانفتاح	نحو الداخل والخارج بفتحات صغيرة	نحو الداخل والخارج بفتحات صغيرة	نحو الداخل والخارج بفتحات صغيرة

			الأحجار الكلسية	الأحجار الكلسية	الأحجار الكلسية
السطح	مادة الانشاء		الأحجار الكلسية	الأحجار الكلسية	الأحجار الكلسية
	مواد الاكساء		بدون تغطية في الجدران الخارجية والتغطية الكلسية في بعض الجدران الداخلية	بدون تغطية في الجدران الخارجية والتغطية الكلسية في بعض الجدران الداخلية	بدون تغطية في الجدران الخارجية والتغطية الكلسية في الجدران الداخلية
	الملمس		تتسم المادة بالخشونة والثقل في الجدران الخارجية بينما مادة الاكساء الكلسية في الجدران الداخلية تتسم بالنعومة والاتساع والسكون	تتسم المادة بالخشونة والثقل في الجدران الخارجية بينما مادة الاكساء الكلسية في الجدران الداخلية تتسم بالنعومة والاتساع والسكون	تتسم المادة بالخشونة والثقل في الجدران الخارجية بينما مادة الاكساء الكلسية في الجدران الداخلية تتسم بالنعومة والاتساع والسكون
	اللون		بيج – الأيوان متناوب بين البيج والأسود	اللون الأصفر	الأصفر – الأبيض المتناوب مع الأسود
	الزخارف		الجدران الخارجية والداخلية المطلة على الصحن خالية من الزخارف –عتب الباب الرئيسي تغطيه زخارف هندسية – الجدران الداخلية إطار مزين بالقولبات العديدة النافرة واخر من الاسنان النافرة حول بوابة الأيوان	الجدران الخارجية خالية من الزخارف – الجدران الداخلية ذات زخارف نباتية وكتابية في الأيوان – الأروقة – المحراب والمدخل بالإضافة لألواح رخامية متشابكة بأشكال هندسية وتيجان الاعمدة مزينة بزخارف نباتية	قليلة الزخارف تنحصر الزخرفة حول الأبواب الرئيسية وهي عبارة عن زخرفة كتابية وفي المقرنصات في قبة أيوان الباب
	الفتحات	النوافذ والأبواب	فتحات خارجية صغيرة –فتحات داخلية كبيرة	فتحات خارجية صغيرة –فتحات داخلية كبيرة	فتحات خارجية صغيرة –فتحات داخلية كبيرة
		الشكل والاطلالة	نوافذ خارجية مستطيلة أو ذات قوس مدبب –نوافذ داخلية مستطيلة او ذات قوس مدبب –ذات قوس جزء من الدائرة –الاطلالة داخلية وخارجية	الباب الرئيسي بشكل مستطيل –نوافذ داخلية مستطيلة او ذات قوس مدبب –ذات قوس جزء من الدائرة –الاطلالة داخلية وخارجية	الباب الرئيسي بشكل مستطيل –نوافذ داخلية مستطيلة او ذات قوس مدبب – ذات قوس جزء من الدائرة –الاطلالة داخلية وخارجية
	الأرضيات		مبلطة بالحجر الكلسي والبازلتي يتخلل البلاط لوحات من الزخارف الهندسية	مبلطة بالرخام الأصفر والأسود بشكل متناوب مشكلة زخرفة هندسية	مبلطة بالرخام الأصفر والأسود بشكل متناوب مشكلة زخرفة هندسية

***ريحاوي، عبد القادر. *العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية*، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1979، من ص 115 حتى ص 119**

الجدول رقم (3) الطابع المعماري للمدارس الإسلامية في العصر المملوكي – اعداد الباحث

مدارس العصر المملوكي / عناصر الطابع المعماري			المدرسة الجقمقية في دمشق	المدرسة الظاهرية في دمشق	الخصائص العامة للعمارة المملوكية *
الشكل	خط السماء	مادة الإنشاء	عوارض خشبية توضع فوقها طبقة من التراب العازل	ألواح خشبية للأسقف توضع فوقها التراب العازل– الحجر للقبة	الألواح الخشبية – الحجر –القرميد
		مادة الأكساء	لا يوجد – السقف الداخلي مزين برسوم نباتية ملونة	لا يوجد السقف الداخلي مزين برسوم نباتية ملونة – التغطية الكلسية للقبة	التغطية الكلسية للقباب
		شكل السقف	عوارض أفقية من الخشب ترتكز على الجدران الحاملة للسقف	أفقي محمول على الجدران الحاملة	القباب – الأقبية المتقاطعة ذات العقود المتصالبة أو المتقاطعة – الأسقف الخشبية الأفقية
	الارتفاع	ارتفاع الجدران	ارتفاع متدرج من 6–9م	على طابقين	على طابق أو طابقين
		أسلوب الانشاء	جدران حاملة من أحجار منحوتة ذات سطوح مستوية بشكل مداميك متناوبة	جدران حاملة من أحجار منحوتة ذات سطوح مستوية بشكل مداميك	جدران حاملة من الأحجار المنحوتة ذات سطوح مستوية بشكل مداميك
	خط البناء والتكوين	المسقط المعماري	المسقط مربع تتوزع الغرف حول الفناء المسقوف الذي تحيط به أربع أواوين على طابق واحد	الشكل الخارجي غير منتظم بخطوط متعامدة تتوزع الغرف حول الفناء المربع على طابقين باتجاه الشرق والغرب بينما الأيوان في الاتجاه الشمالي والمصلى في الاتجاه الجنوبي	الشكل الخارجي مربع تتوزع الغرف والأواوين حول الفناء المسقوف
		مساحة المبنى والفناء	مساحة المبنى 60*68=4080م2، مساحة الفناء 13*14=182م2	مساحة المبنى 37*50=1850م2، مساحة الفناء18*17=306م2	–
		نسبة مساحة الفناء	%5	%17	–
		الانفتاح	نحو الداخل والخارج بفتحات صغيرة	نحو الداخل والخارج بفتحات صغيرة	نحو الداخل والخارج بفتحات صغيرة

			الأحجار الكلسية	الأحجار الكلسية	الأحجار الكلسية
السطح		مادة الانشاء			
		مواد الاكساء	الجدران الداخلية مكسية بالرخام الملون حتى منتصف الجدران وتغطية كلسية حتى نهاية الجدار – الجدران الخارجية بشكل مداميك متناوبة بدون تغطية	بدون تغطية	بدون تغطية
		الملمس	تتسم المادة بالخشونة والثقل في الجدران الخارجية بينما مادة الاكساء الكلسية في الجدران الداخلية تتسم بالنعومة والاتساع والسكون	تتسم المادة بالخشونة والثقل في الجدران الخارجية والداخلية	تتسم المادة بالخشونة والثقل في الجدران الخارجية والداخلية
		اللون	الداخلية اللون الاصفر والبيج والخارجية اللون الابيض والأسود	اللون الأصفر والأبيض	الأصفر والأبيض المتناوب مع الأسود
		الزخارف	الجدران الداخلية شريط ملون من الحجارة المتداخلة وزخرفة كتابية نافرة –شريط زخرفي من المحاريب والشرافات في أعلى الواجهة –حول المدخل الرئيسي قوس من الحجارة المفصصة المتداخلة الملونة وشريط من الزخارف الهندسية والكتابية بالإضافة للمقرنصات في سقف الأيوان	المدخل الرئيسي مزين بزخارف تكونت من تناوب اللون الابيض مع اللون الأسود على شكل مداميك وبين المداميك زخارف كتابية	الواجهات حافلة بالزخرفة والزينة بالإضافة للمداميك المتناوبة الألوان والشرافات في أعلى الواجهة
	الفتحات	النوافذ والأبواب	فتحات خارجية صغيرة –فتحات داخلية كبيرة	فتحات خارجية صغيرة –فتحات داخلية كبيرة	فتحات داخلية وخارجية كبيرة
		الشكل والاطلالة	الفتحات الخارجية والداخلية المطلة على الفناء ذات شكل مستطيل بالإضافة لفتحات خارجية يعلوها قوس مدبب	الفتحات الخارجية مستطيلة الشكل كبيرة وفتحات صغيرة ذات قوس نصف دائري أو فتحات دائرية، أما الفتحات الداخلية أما ذات شكل مستطيل بقوس نصف دائري	الفتحات الخارجية مستطيلة الشكل كبيرة – الفتحات الداخلية ذات قوس مدبب أو قوس مفصص
الأرضيات			الحجارة الملونة والرخام مزخرفة بأشكال هندسية	مبلطة بالحجر يتخلل البلاط لوحات من الزخارف الهندسية	مبلطة بالحجر يتخلل البلاط لوحات من الزخارف الهندسية

***ريحاوي، عبد القادر. *العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية*، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1979، من ص 157حتى ص 166**

جدول رقم (4) الطابع المعماري للمدارس الإسلامية في العصر العثماني – اعداد الباحث

عناصر الطابع المعماري / مدارس العصر العثماني			التكية السليمانية	المدرسة الرضائية	الخصائص العامة للعمارة العثمانية*
الشكل	خط السماء	مادة الإنشاء	الحجر	الحجر	الحجر
		مادة الإكساء	التغطية الكلسية من الداخل ومن الخارج التغطية الكلسية المصفحة بالرصاص	التغطية بالرصاص	التغطية الكلسية من الداخل ومن الخارج التغطية الكلسية المصفحة بالرصاص
		شكل السقف	قباب صغيرة متجاورة تغطي الغرف –قبة ذات رقبة تغطي الجامع –رواق الجامع ذو سقف خشبي مائل محمول على القناطر	قباب صغيرة متجاورة تغطي الأروقة – قبة كبيرة تغطي الجامع – سقف حجري أفقي للحجرات	القباب المختلفة الاحجام
	الارتفاع	ارتفاع الجدران	على طابق واحد	على طابق واحد	على طابق واحد
		أسلوب الانشاء	جدران حاملة من أحجار منحوتة ذات سطوح مستوية بشكل مداميك متناوبة	جدران حاملة من أحجار منحوتة بشكل جيد ذات سطوح مستوية بشكل مداميك متناوبة	جدران حاملة من أحجار منحوتة بشكل جيد ذات سطوح مستوية بشكل مداميك متناوبة
	خط البناء والتكوين	المسقط المعماري	صحن سماوي تحيط به أروقة مسقوفة بالقباب المحمولة على عقود ذات أقواس لها الشكل المدبب الفارسي تتوضع خلفها الغرف من ثلاث جهات وفي الجهة الجنوبية يتوضع المسجد والمصلي	صحن سماوي مستطيل الشكل تحيط حوله من ثلاث جهات الأروقة خلفها الغرف ومن الجهة الجنوبية الجامع على جانبيه أيوانين	صحن سماوي مستطيل الشكل تحيط حوله من ثلاث جهات الأروقة خلفها الغرف ومن الجهة الجنوبية الجامع على جانبيه أيوانين
		مساحة المبنى والفناء	مساحة المبنى 40*45= 1800م2، مساحة الفناء 20*35=700م2	مساحة المبنى 2770م2 – مساحة الفناء 1081م2	–
		نسبة مساحة الفناء	%39	%39	–

			الأحجار الكلسية	الأحجار الكلسية	الأحجار الكلسية
السطح	مادة الانشاء				
	مواد الاكساء		بدون تغطية للجدران الخارجية	بدون تغطية للجدران الخارجية	الأحجار الكلسية
	الملمس		تتسم المادة بالخشونة والثقل	تتسم المادة بالخشونة والثقل	تتسم المادة بالخشونة والثقل
	اللون		أبيض وأسود بشكل مداميك متناوبة في الجدران الداخلية والخارجية	اللون الأصفر	الأصفر – الأبيض المتناوب مع الأسود
	الزخارف		محراب الجامع مزين بالمقرنصات –ألواح القاشاني حول النوافذ	المقرنصات في أعمدة الاروقة والسدة والمنبر والمئذنة ونصوص كتابية في الأبواب والقبلية والمنبر والمحراب	القاشاني – الأبلق
	الفتحات	النوافذ والأبواب	فتحات خارجية صغيرة –فتحات داخلية كبيرة	فتحات خارجية وداخلية كبيرة	فتحات خارجية وداخلية كبيرة
		الشكل والاطلالة	الباب الخارجي ضمن أيوان مرتفع بارتفاع الواجهة مسقوف بعقد من الحجر على شكل قوس مدبب فتحة الباب هي مستطيلة الشكل –الفتحات الداخلية عبارة عن فتحات كبيرة مستطيلة تعلوها فتحة بقوس مدبب مطلة على الفناء	الباب الخارجي ضمن أيوان مرتفع بقوس مدبب –الفتحات الداخلية والخارجية ذات قوس مجزوء من الدائرة	الشكل المستطيل للفتحات – بالإضافة للفتحات ذات القوس المدبب او القوس المجزوء من الدائرة
الأرضيات			مبلطة بالحجر يتخلل البلاط لوحات من الزخارف الهندسية	الحجر المزي والبازلت	الحجر المزي والبازلت

***ريحاوي، عبد القادر. *العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية*، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1979، من ص 213حتى ص 216**

النتائج والمناقشة:

أولا: خط البناء والتكوين: العصر السلجوقي: تأثرت المخططات الأفقية للمدارس الإسلامية بالعمارة المحلية المنتشرة في المنطقة حيث كانت التكوينات عبارة عن باحة سماوية منتظمة الشكل أما مربعة أو مستطيلة تحيط بها الغرف وأواوين الدراسة التي يختلف عددها حسب المذهب الذي يدرس في المدرسة.

العصر الأيوبي: بالإضافة للتكوين المتبع في العمارة السلجوقية ظهر أسلوب آخر اعتمد على الباحة السماوية المنتظمة المربعة أو المستطيلة الشكل التي تحيط بها أروقة مسقوفة تليها الغرف والأوواين.

العصر المملوكي: ظهر نموذج آخر انتشر في سورية وهو عبارة عن صحن مربع الشكل مغطى بسقف أفقي الشكل من الخشب يرتفع فوق مستوى سقف الأواوين والغرف التي تحيط بهذا الصحن، وهذا أسلوب العمارة البيزنطية والتركية حيث كان أغلب حكام المماليك من أصول تركية، كما اعتمد على أسلوب العمارة السلجوقية في مدارس أخرى.

العصر العثماني: اعتمد فقط على الباحة السماوية المنتظمة ذات الشكل المستطيل تحيط بها أروقة مسقوفة بالقباب تليها الغرف والاواوين.

أما مساحة الفناء والمدرسة اختلفت من عصر لأخر فكانت واسعة في مدرسة وصغيرة في أخرى حتى العصر العثماني حيث كان الباحة السماوية واسعة تصل حتى 40% من مساحة المدرسة.

ثانيا": خط السماء استخدمت الأسقف الأفقية من العضادات الخشبية المحمولة على الجدران، أوالعضادات الحجرية من الحجر الكلسي، أو البازلتي المحمولة على العقود والأقبية في تغطية الغرف والأواوين في العصر السلجوقي والأيوبي والعصر المملوكي وهو أسلوب العمارة الرومانية القديمة في سورية، بينما كانت القبة المبنية من الحجارة الكلسية او القرميد هي الأسلوب الشائع في تغطية المسجد الملحق بالمدرسة والمدفن بالإضافة للأروقة في حال وجودها حيث كانت القبة في:

العصر السلجوقي: عبارة عن مقرنصات جصية ذات رأس موشوري.

العصر الأيوبي والمملوكي: استخدمت القبة الملساء النصف كروية برقبة أو بدون رقبة في التغطية ولم تستخدم القبة المحززة ذات الرأس المدبب التي ظهرت في العصر الأيوبي في تسقيف المدارس الإسلامية.

العصر العثماني: استخدمت القبة النصف كروية الملساء بمختلف الأحجام في التسقيف وكانت ذات رقبة في تسقيف المساحات الكبيرة، بينما في تسقيف الأروقة والغرف الصغيرة استخدمت القبة بدون رقبة، كما استخدم اسلوب التسقيف الأفقي من العضادات الحجرية المحمولة على العقود والأقبية في تسقيف الغرف.

ثالثا: الارتفاع إن ارتفاع الجدران في جميع مدارس العصر السلجوقي والأيوبي والمملوكي على طابق واحد او طابقين بينما في العصر العثماني كانت المدارس على طابق واحد فقط. أما الأيوان كان يرتفع فوق باقي مكونات المدرسة إذا كان المبنى على طابق واحد اما في المدارس ذات الطابقين فيكون ارتفاع الأيوان من ارتفاع المدرسة. **اسلوب بناء هذه الجدران** عبارة عن جدران حاملة من الحجارة المنحوتة بشكل جيد ذات السطوح المستوية استخدمت المواد المحلية في البناء والإكساء، فكانت الحجارة الكلسية ذات اللون الأبيض والأصفر هي المادة الأكثر استخدماً في البناء في جميع العصور الإسلامية، بينما استخدم بالإضافة للحجر الكلسي حجر البازلت الأسود في العصر المملوكي والعثماني وذلك لعمل المداميك المتناوبة في البناء. إن استخدام هذا الحجر كان يتم بدون تغطية للجدران الخارجية والداخلية وذلك بعد نحت الحجر بشكل جيد لتعطي للبناء ايحاء بالقوة والثقل، بينما في العصر المملوكي والعثماني فكانت تغطى الجدران الداخلية بالتغطية الكلسية وألواح الرخام الملونة.

رابعاً: الفتحات الداخلية والخارجية في العصر السلجوقي والأيوبي المملوكي والعثماني كانت فتحة الباب الرئيسي ضمن أيوان مرتفع بارتفاع الواجهة. استخدم نوعين من الأقواس في فتحات المدارس الإسلامية، إما القوس العباسي المدبب أو القوس المجزوء من الدائرة (ربع أو نصف دائرة)، بالإضافة لاستخدام الفتحات المستطيلة الشكل، ولم يستخدم القوس المفصص الذي ظهر في العصر المملوكي في أبنية المدارس، وكانت اطلالة الفتحات نحو الداخل بفتحات كبيرة أما الفتحات الخارجية كانت صغيرة الحجم إن وجدت ماعدا العصر المملوكي كان الانفتاح نحو الخارج والداخل بفتحات كبيرة الحجم.

خامسا: العناصر الزخرفية يمكن أن نلاحظ في:

العصر السلجوقي: استخدمت المقرنصات التي ظهرت في هذا العصر في أيوان الباب الرئيسي وفي القبة فقط، أما في البيمارستان استخدمت الزخرفة الجصية والزخرفة الهندسية فوق الفتحات المطلة على الصحن بالإضافة للقبة وأيوان الباب.

العصر الأيوبي: تميزت العمارة بالبساطة والتقشف والبعد عن الزخرفة بسبب حالة الحرب فكان طابع عمارة المدارس في العصر الأيوبي مطابق لطابع العصر في الواجهات الخارجية فقط حيث اقتصرت الزخرفة حول الباب الرئيسي فقط، أما الواجهات الداخلية فنلاحظ فيها زخرفة نباتية وهندسية.

العصر المملوكي والعثماني: الوجهات الداخلية والخارجية غنية بالزخرفة والزينة بالإضافة للمداميك المتناوبة الألوان والشرفات في نهاية الواجهات وهذا مطابق لخصائص العمارة في هذا العصر.

الاستنتاجات والتوصيات:

شهد القرن الأول بعد الفتح الإسلامي شهد نتاجاً معمارياً جديداً من حيث الإنشاء والتكوين ومن حيث أسلوب استخدام العناصر القديمة المقتبسة، وفي تطوير هذه العناصر وتحويرها واستخدامها بأسلوب مختلف يتفق مع الذوق الجديد، أما بعد ذلك ابتعد النتاج الفني عن الأصول التي أخذ عنها كلما تقدم الزمن، وكلما استمر التعديل والتجديد. فكان ذلك واضحاً في القباب والأسقف والأبواب وفي تيجان الأعمدة وفي العقود والنقوش الزخرفية جميعها. فلقد أسهمت الأذواق والرغبات الفردية في تكوين المنشآت المعمارية، **فكان للعامل الديني والسياسي والبيئي بالإضافة لمواد البناء المتوفرة العامل الاكبر في تشكيل الطابع المعماري لأبنية المدارس في مختلف العصور الإسلامية.**

المراجع:

[1] التوني، سيد. عبد القادر، نسمات. *إشكالية النسيج والطابع*، العربي، الجمهورية العربية المصرية، 1997

[2] حمودة، ألفت. *الطابع بين التأثير والمعاصرة*، الدار المصرية اللبنانية، الجمهورية العربية المصرية، 1987

[3] عطية، أحمد خلف. *التصميم المستدام في المناطق التراثية وذات القيمة*، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 2003

[4] رأفت، علي. *ثلاثية الإبداع المعماري، الابداع الفني في العمارة*، inter-consult research center، 1996

[5] ريحاوي،عبد القادر. *العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية*، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1979

[6] قصي، طارق. *الملمس في الفن*، مجلة مقالات، بغداد، الشهر 2-4، 2012، http://www.maqalaty.com

[7] المديرية العامة للأثار والمتاحف، الجمهورية العربية السورية http://www.dgam.gov.sy/index.php?d=252&id=640

[8] حسن، عزة. *المكتبة الظاهرية بدمشق (دار الكتب الظاهرية)* ، مجلد مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد82 الجزء 1، http://www.reefnet.gov.sy/booksproject/mojama/82/82-1/2.pdf

]9[**http://islamsyria.com/download_file.php?system=library&FID=244**

]10[www.dgam.gov.sy

]11[www.yasmin-alsham.com

]12[www.esyria.sy

]13[www.naseemalsham.com

]14[http://travel.maktoob.com/vb/travel484878/